من الأسرار البلاغية
في وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه
للخليفة الذي بعده

إعداد

د. منال السيد محمد مصباح

مدرس البلاغة والنقد

كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بالقاهرة

من الأسرار البلاغية في وصية عمر بن الخطاب ﷺ للخليفة الذي بعده

منال السيد محمد مصباح
قسم البلاغة والنقد، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات بالقاهرة، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية.
البريد الإلكتروني manalmesbah@azhar.edu.eg

ملخص البحث: هذا بحث بلاغي بعنوان " من الأسرار البلاغية في وصية عمر بن الخطاب ﷺ للخليفة الذي بعده"، والهدف منه كشف الأنوار البلاغية في الوصية العمرية والرجوع إلى نهج صحابة رسول الله ـ ﷺ ـ قولا وفعلا، ولم لا نسبح في أنوار بيانهم ونفائس أقوالهم وهم خلفاء رسول الله ـ ﷺ ـ ، اغترفوا من عذوبة أنهاره، ارتووا من بحور أنواره.

وقد اتبعت في هذا البحث المنهج التحليلي التذوقي ، وذلك باستخراج أظهر اللآلئ البلاغية من بحور الوصية العمرية ، مع بيان المعنى المقصود من كل جملة فيها، ووضوح التفاعل القائم بين اللفظ والمعنى ، ومدى تأثيره على المتلقي.

ومن أبرز نتائج هذا البحث أن البلاغة قد تلألأت أنوارها في ألفاظ عمر ﷺ حتى في وصيته في ختام حياته لمن جاء بعده، ذاك أنها طبعه وفطرته شأن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. وعلى الله قصد السبيل.

الكلمات المفتاحية: الوصية العمرية ـ البلاغة عند عمر ـ وصية عمر البليغة ـ بلاغة ابن الخطاب .

Among the rhetorical secrets in the will of Umar ibn al-Khattab, may God be pleased with him, for the successor to the caliph.

Manal Mr. Muhammad Misbah
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Girls in Cairo, Al-Azhar University, Arab Republic of Egypt.
Email: manalmesbah@azhar.edu.eg

Abstract: This is a rhetorical study entitled "One of the rhetorical secrets in the will of Umar ibn al-Khattab to the caliph after him", and the aim of it is to uncover the rhetorical lights in the age will and refer to the approach of the companions of the Messenger of God - - in word and deed, and why we do not swim in the lights of their statement and the preciousness of their words And they are the successors of the Messenger of God - they were savored from the sweetness of his rivers, they were watered by the seas of his lights.

In this research, I followed the taste-analytical method, by extracting the rhetorical pearls from the spheres of the age will, with an explanation of the intended meaning of each sentence in it, the clarity of the interaction between the word and the meaning, and the extent of its impact on the recipient.

Among the most prominent results of this research is that rhetoric has shone its lights in Umar's words even in his will at the end of his life for those who came after him, because it is his nature and his instinct is like the Companions, may God be pleased with them all. On the way God intended.

Key words: the age commandment - the rhetoric of Omar - Omar's eloquent will - Ibn al-Khattab's eloquence.

المقدمة

الحمد لله الواحد القهار ، والصلاة والسلام على نبيه المختار ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الأطهار ، ومن سار على نهجهم جميعا إلى يوم الدين .

وبعد ...

فهذا بحث بلاغي ، يحمل في طياته وصية الفاروق عمر بن الخطاب – ﷺ– للخليفة الذي بعده ، وقد حوت الوصية درر من البلاغة ، ولا غرو ، فكلام الصحابة الأطهار – رضي الله عنهم جميعا – قد احتل الرتبة العليا في البيان البشري بعد كلام النبي – ﷺ – وفي قمة الصحابة بعد أبي بكر – ﷺ – الفاروق عمر – طيب الله ثراه – .

وهذه نظرات بلاغية خَجْلَى فيما انطوت عليه الوصية ، أردت أن أنال بها شرف القيام على خدمة هذه الوصية ، وتذوق أسرارها .

هذا وقد وقع البحث بعنوان "من الأسرار البلاغية في وصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه للخليفة الذي بعده " ، والتزمت فيه المنهج التحليلي البلاغي التذوقي ، فقمت ببيان المعنى المقصود من الوصية إجمالا، ثم ذكرت أظهر اللآليء البلاغية الواردة فيها ، مبينة أثرها على المتلقي وما ينبغي عليه فعله .

وقد جاء البحث في مقدمة، وتمهيد، ومبحث واحد، وخاتمة، وفهرس للموضوعات ، وذلك على النحو التالي :

أولا : المقدمة ، وفيها أهمية الموضوع ، ومنهج البحث ، والخطة التي سار عليها.

ثانيا : التمهيد ، ومهدت فيه للحديث عن الفاروق ووصيته .

ثالثا : المبحث الأول ، بعنوان (الأسرار البلاغية في نص الوصية) .

ثم الخاتمة وبها أهم النتائج ، ثم فهرس الموضوعات .

والله أسأل أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم ، آملة أن يغفر لي زلاتي ، وأن يتجاوز عن خطئي ، وعلى الله قصد السبيل .

د/ منال السيد مصباح .

التمهيد

جَاءَ أبو لؤلؤة المجوسي إِلَى الفاروق عُمَر ﷺ يَشْتَكِي شِدَّةَ الْخَرَاجِ، فَقَالَ لَهُ: مَا خَرَاجُكَ بِكَثِيرٍ. فَانْصَرَفَ سَاخِطًا، ثُمَّ قَالَ لَهُ عُمَرُ – ﷺ –: أَلَمْ أُخْبَرْ أَنَّكَ تَقُولُ: لَوْ أَشَاءُ لَصَنَعْتُ رَحًى تَطْحَنُ بِالرِّيحِ؟ فَالْتَفَتَ إِلَى عُمَرَ عَابِسًا وَقَالَ: لَأَصْنَعَنَّ لَكَ رَحًى يَتَحَدَّثُ النَّاسُ بِهَا، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ لِأَصْحَابِهِ: أَوْعَدَنِي الْعَبْدُ وَهُوَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ، ثُمَّ إِنَّهُ الْخَبِيثُ اشْتَمَلَ عَلَى خِنْجَرٍ ذِي رَأْسَيْنِ نِصَابُهُ فِي وَسَطِهِ، فَكَمَنَ فِي زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْمَسْجِدِ فِي الْغَلَسِ، فَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ حَتَّى خَرَجَ عُمَرُ يُوقِظُ النَّاسَ لِلصَّلَاةِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ طَعَنَهُ ثَلَاثَ طَعَنَاتٍ، كَمَا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ، وَطَعَنَ مَعَهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا مَاتَ مِنْهُمْ سِتَّةً، فَأَلْقَى عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ثَوْبًا فَلَمَّا اغْتَمَّ فِيهِ قَتَلَ نَفْسَهُ. قَالَ أَبُو رَافِعٍ: كَانَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ عَبْدًا لِلْمُغِيرَةِ يَصْنَعُ الْأَرْحَاءَ، وَحُمِلَ عُمَرُ ﷺ – إِلَى أَهْلِهِ وَكَادَتْ تَطْلُعُ الشَّمْسُ، فَصَلَّى عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ – ﷺ – بِالنَّاسِ بِأَقْصَرِ سُورَتَيْنِ، وَأُتِيَ عُمَرُ بِنَبِيذٍ فَشَرِبَهُ فَخَرَجَ مِنْ جُرْحِهِ فَلَمْ يَتَبَيَّنْ، فَسَقَوْهُ لَبَنًا فَخَرَجَ ثَانِيًا، فَقَالُوا: لَا بَأْسَ عَلَيْكَ. فَقَالَ: إِنْ يَكُنْ فِي الْقَتْلِ بَأْسٌ فَقَدْ قُتِلْتُ. فَجَعَلَ النَّاسُ يُثْنُونَ عَلَيْهِ وَيَقُولُونَ كُنْتَ وَكُنْتَ، فَقَالَ: أَمَا وَاللَّهِ وَدِدْتُ أَنِّي خَرَجْتُ مِنْهَا كَفَافًا لَا عَلَيَّ وَلَا لِيَ، وَأَنَّ صُحْبَةَ رَسُولِ اللَّهِ – ﷺ – سَلِمَتْ لِي، فَأَثْنَى عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَالَ: لَوْ أَنَّ لِي طِلَاعَ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَافْتَدَيْتُ بِهِ مِنْ هَوْلِ الْمُطَّلَعِ(١)، وَقَدْ جَعَلْتُهَا شُورَى فِي عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ وَطَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ وَعَبْدِ الرَّحْمَنِ وَسَعْدٍ، وَأَجَّلَهُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،

(١) روح البيان ، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ٥/ ١٧٥ ، دار الفكر – بيروت، فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ٧/ ٦٥ ،دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .، المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ) ١/ ١٠١، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.

وَقَالَ: يَشْهَدُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ مَعَهُمْ وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ، فَإِنْ أَصَابَتِ الْإِمْرَةُ سَعْدًا فَهُوَ ذَاكَ، وَإِلَّا فَلْيَسْتَعِنْ بِهِ أَيُّكُمْ مَا أُمِّرَ، فَإِنِّي لَمْ أَعْزِلْهُ مِنْ عَجْزٍ وَلَا خِيَانَةٍ، وَأَمَرَ صُهَيْبًا أَنْ يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ. قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا –: كَانَ أَبُو لُؤْلُؤَةَ مَجُوسِيًّا وَكَانَ اسْمُهُ فَيْرُوزُ. وَقَالَ عُمَرُ – ﷺ –: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ مَنِيَّتِي بِيَدِ رَجُلٍ لَا يَدَّعِي الْإِسْلَامَ[1].

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ» لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) ١/ ١٤٥ ، تحقيق :حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية – بيروت، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) ٢/ ٣٢٥ ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق ، ط٢ ، – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

المبحث الأول

من الأسرار البلاغية في نص الوصية

نَصّ الوَصيَّة

أوصى الفاروق عمر الخليفة من بعده قائلا:

"أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خَيْرًا، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ، وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا، الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ، وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللَّهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لاَ يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ "[1]إِذَا أَدُّوا مَا عَلَيْهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ طَوْعًا أَوْ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ،

وَأُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَشِدَّةِ الْحَذَرِ مِنْهُ، وَمَخَافَةِ مَقْتِهِ، أَنْ يَطَّلِعَ مِنْكَ عَلَى رَيْبَةٍ، وَأُوصِيكَ أَنْ تَخْشَى اللهَ فِي النَّاسِ وَلَا تَخْشَ النَّاسَ فِي اللهِ، وَأُوصِيكَ بِالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ، وَالتَّفَرُّغِ لِحَوَائِجِهِمْ وَثُغُورِهِمْ، وَلَا تُؤْثِرْ غَنِيَّهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ– بِإِذْنِ اللهِ– سَلَامَةٌ لِقَلْبِكَ، وَحَطٌّ لِوِزْرِكَ، وَخَيْرٌ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ، حَتَّى تُفْضِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ سَرِيرَتَكَ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ، وَقَدْ أَوْصَيْتُكَ وَحَضَضْتُكَ، وَنَصَحْتُ لَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ. وَاخْتَرْتُ مِنْ

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ٢/ ١٠٣ ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ، الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) لمعمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ ، السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ) ١/ ١١٦المحقق: د. عطية الزهراني ، الناشر: دار الراية – الرياض ، ط١، ١٤١٠هـ –١٩٨٩م، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه – شخصيته وعصره، لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ١/٦٠، ٦١ ،دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

دِلَالَتِكَ مَا كُنْتُ دَالًّا عَلَيْهِ نَفْسِي وَوَلَدِي، فَإِنْ عَمِلْتَ بِالَّذِي وَعَظْتُكَ، وَانْتَهَيْتَ إِلَى الَّذِي أَمَرْتُكَ، أَخَذْتَ بِهِ نَصِيبًا وَافِيًا، وَحَظًّا وَافِرًا، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ يَكُنْ ذَلِكَ بِكَ انْتِقَاصًا، وَرَأْيُكَ فِيهِ مَدْخُولًا، لَأَنَّ الْأَهْوَاءَ مُشْتَرَكَةٌ، وَرَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، ثُمَّ ارْكَبْ الْحَقَّ وَخُضْ إِلَيْهِ الْغَمَرَاتِ، وَكُنْ وَاعِظًا لِنَفْسِكَ، وَأُنْشِدُكَ اللهَ لَمَّا تَرَحَّمْتَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَأَجْلَلْتَ كَبِيرَهُمْ، وَرَحِمْتَ صَغِيرَهُمْ، وَوَقَّرْتَ عَالِمَهُمْ، وَلَا تَضْرِبْهُمْ فَيُذَلُّوا، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِالْفِيءِ فَتُغْضِبْهُمْ، وَلَا تَحْرِمْهُمْ عَطَايَاهُمْ عِنْدَ مَحَلِّهَا فَتُفْقِرْهُمْ، وَلَا تُجَمِّرْهُمْ فِي الْبُعُوثِ فَتَقْطَعْ نَسْلَهُمْ، وَلَا تَجْعَلْ الْمَالَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ، وَلَا تُغْلِقْ بَابَكَ دُونَهُمْ فَيَأْكُلْ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ.
هَذِهِ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ، وَأُشْهِدُ اللهَ عَلَيْكَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ"[1].

التحليل البلاغي:

استهل الفاروق ﷺ وصيته بقوله: "**أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خَيْرًا، أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ**" وفيها حسن ابتداء وبراعة استهلال، إذ الوصية تحمل في طياتها معنى العهد، والوصل أيضا، "أَوْصى الرجلَ ووَصَّاه عَهِدَ إِليه، ووَصَيْتُ الشيءَ بكذا وكذا إِذا وصلته به"[2]، وقد آثر الفاروق لفظ "**أوصي**" مناسبة للمقام، ومراعاة لحاله التي هو عليها، وقد علم أنه على مشارف الموت، كما أن الإيصاء أبلغ وأدل على الاهتمام ، وطلب التنفيذ، قد أورد اللفظ على هيئة المضارع لدلالته على حال حدوث الفعل وتصويره وقت التوصية، كما أنه يحمل معنى التجدد والحدوث، فالفاروق

(١) البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ٢/ ٣١ ـ ٣٣ ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ.. ، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت ١/ ٢٦٣، المكتبة العلمية بيروت–لبنان، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه – شخصيته وعصره، لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ١/٦٠، ٦١ ،دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

(٢) لسان العرب ، مادة (وصي)

ﷺ يعهد إليه أن يلتزم بما في الوصية في كل وقت ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

وفي لفظ "**الخليفة**" دلالة أرداها الفاروق، "قال ابن الأَثير الخَلِيفةُ مَن يقوم مَقام الذاهب ويَسُدُّ مَسَدَّه، والهاء فيه للمبالغة وجمعه الخُلَفاء على معنى التذكير لا على اللفظ مثل ظَرِيفٍ وظُرَفاء، ويجمع على اللفظ خَلائفَ كظَرِيفةٍ وظرائِفَ"(١)، وقد استشعر الفاروق هذا المعنى، ورجا أن يكون القادم مثله، يقوم مقامه، ويسد مسده، وأن يتق الله في الرعية، ولشدة حرصه أوصي، فهو الراعي ، وهو المسئول أمام الله عن الرعية ، كما أنه لم يسمه لأنه لم يعينه أو يحدده ، ولم يرشح خليفة له ، وإنما ترك الأمر شورى بينهم ، ووضعه في ستة نفر من الصحابة شهد لهم النبي – ﷺ – ورضي عنهم ، فلم يرض عمر بن الخطاب – ﷺ – أن يتحمل أمر الخلافة في حياته وبعد مماته، لأنه يستحضر قوله تعالى : **{وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ }**(٢).

وفي قوله "**من بعدي**" لأن الانتخابات للخلافة لن تحدث إلا بوفاته – ﷺ– ، وفي قوله **(بِالْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ خَيْرًا)** جمع المهاجرين للتعميم والشمول ، فالوصية بالبر بهم جميعا ليس لفرد دون آخر، وقد قدمهم في الوصية على الأنصار وغيرهم ؛ لأنه يعرف قدرهم وفضلهم، لسبقهم في الإسلام، وأنهم تركوا ديارهم وأموالهم نصرة لله ورسوله، وقد أعلى الله ذكرهم في كتابه فقدمهم على غيرهم في آياته" : ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٣)، كما أنه تأسى واقتدى بالقرآن الكريم في تقديمهم على من سواهم ، فالقرآن الكريم لم يذكر المهاجرين إلا في المقدمة ، ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ

(١) لسان العرب(خلف)
(٢) الصافات ٢٤.
(٣) الحشر ٨ .

يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١)؛ ﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (٢) ، ﴿ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣)، **وهكذا ...**

وقد وسمهم ب "**الأولين**" لأنهم أول من نصروا الله ورسوله ، وقد أخرجوا من ديارهم وأموالهم، وضحوا بكل غال ونفيس لله ولرسوله رفعة للدين ، ونصرة له.

وفي تنكير "**خيرا**" دلالة التعظيم ، فقد أبلوا في الإسلام بلاء حسنا عظيما ، لذا أوصيك بهم خيرا عظيما يليق بهم وبما قدموا للإسلام والمسلمين .

وفي قوله "**أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ** " فقد عبر الفاروق – ﷺ – في الجملتين بـ " أن" والفعل بدلا من المصدر وذلك في قوله "**أن يعرف**" و "**أن يحفظ**" ، إذ التعبير بالمصدر صريحا يدل على الحدث مجردا من الزمن، أما "**أن**" والفعل فإنها تحمل معنى الإخبار عن الحدث مع الدلالة على الزمان ، ودلالة الفعل المضارع التجدد والحدوث ، فالفاروق يريد من الخليفة الآتي بعده ليس مجرد معرفة الحق لهم وحفظ حرمتهم مرة واحدة أو زمن معين، وإنما على الدوام بتجدد الزمان وحدوثه ، فهم قوم لهم حق وحرمة على مر الزمان ما داموا على قيد الحياة .

---

(١) الحشر ٩:٨ .

(٢) التوبة ١٠٠ .

(٣) التوبة ١١٧.

وقد قدم الجار والمجرور" **لهم**" في الجملتين "**أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ** " للخصوص ، فهذه خاصة بهم دون سواهم ومقصورة عليهم دون غيرهم .وفي إضافة ضمير الغائب "**هم**" للمفعولين "**حقهم ، حرمتهم**" دليل الخصوصية أيضا ، والتوكيد على ذلك ، وهو دليل على شدة حرصه عليهم ، والمبالغة في الاهتمام بهم ، وهو يعلم أن الله يوفيهم ما فعلوا ، فقد آثروا الله ورسوله عما سواهم ، ونصرة دينه على مالهم وديارهم وأهليهم .

وقد فصل الفاروق بين جملتي "**أُوصِي الخَلِيفَةَ مِنْ بَعْدِي بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خَيْرًا**" والجملتين بعدها "**أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ** " لكمال الاتصال ، لأن الجملتين الأخيرتين وقعتا بيانا وتفصيلا للأولى ، فقد نزلت كل منهما منزلة عطف البيان من متبوعه في إفادة الإيضاح ، وقد ناسب المقام، فلو أن المتلقي وقع لديه خفاء في معنى " **خيرا**" ، وكيفية البر بهم والإحسان إليهم: أي إلى المهاجرين، وواصل القراءة لوجد في الجملتين بعدها إزالة الخفاء وبيانه وتوضيحه بقوله "**أن يعرف لهم حقهم ، وأن يحفظ لهم حرمتهم**" .

كما وصل بين الجملتين الأخيرتين"**أَنْ يَعْرِفَ لَهُمْ حَقَّهُمْ، وَأَنْ يَحْفَظَ لَهُمْ حُرْمَتَهُمْ** " عن طريق العطف بالواو ، لما بينهما من اتفاق ومناسبة، فالجملتان إنشائيتان في المعنى، لأن المقصود من وصية الخليفة الأمر بالتنفيذ، خبريتان في الألفاظ، والوصل أيضا لوجود الجامع والمناسبة.

ويواصل الفاروق وصيته قائلا " **وَأُوصِيهِ بِالأَنْصَارِ خَيْرًا الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ**" ، وفي قوله " **وأوصيه بالأنصار خيرا**" عطف بالواو على الوصية الأولى الواردة سابقا في المهاجرين للاشتراك في الحكم لفظا ومعنى ، ولما بينهما من مناسبة جامعة ، وعبر بلفظ " **أوصيه** " بضمير الغائب ؛ لأن الخليفة ما زال مجهولا ، فهو لم يعينه ، ولن يأت إلا بوفاة عمر – ﷺ – كما أتى بلفظ "**أوصيه**" مضارعا لتصويره للحال التي هو عليها ، كما يدل المضارع أيضا على التجدد والحدوث ، فهو يوصيه وصية ينبغي تحقيقها على الدوام ، وفي قوله " بالأنصار " خص الأنصار

دون سواهم لسابق فضلهم ، وحسن بلائهم في الإسلام ، وكما نكر لفظ "خيرا" للتعظيم ، أوصيك بهم خيرا عظيما كما كان فعلهم عظيما ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ﴾[1] .

وقد عرفهم بقوله " **الذين تبوءوا الدار والإيمان** " فعرفهم بالموصولية ، تعظيما لشأنهم ، وشأن ما أخبر به عنهم في جملة الصلة، والمعنى أنهم استوطنوا المدينة وقبلوا الإيمان ،" من قبلهم " أي : " من قبل المهاجرين "[2] ، بل وألفوه، وفي قول الفاروق " الذين تبوءوا الدار والإيمان " اقتباس من القرآن الكريم في قول ربنا ﷻ: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[3] ، وفي الجملة إيجاز بالحذف ، والتقدير : "تبوءوا الدار وأخلصوا الإيمان"[4] .

وفي قوله "**أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ**" فعل الفاروق بالألفاظ مع الأنصار كما فعل مع المهاجرين ، إذ أتى بـ " **إن**" والفعل " **يقبل** ، **يعفى**"، حيث أتى بالأفعال المضارعة المصورة لهيئة الحدث وزمانه ، كما تفيد التجدد والحدوث ، فالفاروق – ﷺ – لم يرد قبول الإحسان أو الصفح عن المسيء مرة أو مرتين ، ولكن يريده على الدوام خاصة لهم ومنهم ، فأتى بـ " **أن**" المؤولة بالمصدر والفعل بعدها لدلالة الحدث وتجدد زمانه المضارع ، كما

---

(١) الرحمن ٦٠ .

(٢) الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، لأبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي النيسابوري الشافعي (المتوفى ٤٦٨ هـ) ، ١ /٩٩٤ .

(٣) الحشر ٩ .

(٤) الجدول في إعراب القرآن ، لمحمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى ١٣٧٦ هـ) ، ٢٨ / ٢٠٣ ، دار الرشيد – مؤسسة الإيمان – دمشق ، ط٤

عبر بـ "**محسنهم ، مسيئهم**" بالجمع ؛ للشمول والعموم ، فهو لا يخص من الأنصار أحدا بعينه ، وإنما لعموم الأنصار وشمولهم جميعا .

وبين الجملتين "**أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ**" مقابلة ثلاثة بثلاثة ، ومن جمال المقابلة هنا أن جعل الفاروق – رضي الله عنه – "القبول" في لفظ " يقبل " مقابل " العفو " في لفظ " يعفى " ، والقبول والعفو من عائلة واحدة ، ولكنه انتقى من الألفاظ أرقاها ؛ ليتماشى مع من وصفوا به، كما أتى بـ " الإحسان " في مقابل "الإساءة "، و" من " في مقابل " عن " .

ومما يلحظ في تعبير الفاروق المساواة والتكافؤ في ألفاظ الجملتين بحيث يستوي عنده ألفاظ قبول الإحسان مع ألفاظ العفو عن المسيء :

يُقْبَلُ / مِنْ / مُحْسِنِهِمْ

يُعْفَى / عَنْ / مُسِيئِهِمْ

حتى يستوي الأمر عند الحاكم في جانب الأنصار ، فلا يغضب من مسيئهم ويعاقبه بل يعفو ويصفح ، ويقبل تماما كما يقبل من المحسن إحسانه ، وللمقابلة هنا أثرها الطيب في بلاغة الكلام ومناسبة المقام ؛ حيث وضحت المعنى وأضفت عليه حسنا وبهاء ، وزادته قوة وثباتا .

وقد وصل بين الجملتين "**أَنْ يُقْبَلَ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَيُعْفَى عَنْ مُسِيئِهِمْ**" عن طريق العطف بالواو ؛ لتناسب الجملتين في الفعلية ، ولوجود الجامع بينهما .

كما فصل بين الجملتين "**وأوصيه بالأنصار خيرا ، الذين تبوءوا الدار والإيمان ... **" لأن المراد من قوله "**أوصيه بالأنصار خيرا**" حمل الخليفة من بعده على البر بهم، والإحسان إليهم، ومعرفة فضلهم الذي لا يكافأ، وقوله" **الذين تبوءوا الدار والإيمان** " أوفى بتأدية هذا الغرض، لأن المراد منه أن يذكره ويعرفهم بأثقل ما فعلوا " **تبوءوا الدار والإيمان**" حيث استوطنوا المدينة، وأخلصوا في دينهم لله ولرسوله، "**يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا**

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[1]، فترك العطف بين الجملتين لقوة الربط بينهما لما بينهما من كمال الاتصال.

ويواصل الفاروق قائلا "، **وَأُوصِيهِ بِذِمَّةِ اللهِ، وَذِمَّةِ رَسُولِهِ ﷺ أَنْ يُوفَى لَهُمْ بِعَهْدِهِمْ، وَأَنْ يُقَاتَلَ مِنْ وَرَائِهِمْ وَأَنْ لاَ يُكَلَّفُوا فَوْقَ طَاقَتِهِمْ** "[2] **إِذَا أَدُّوا مَا عَلَيْهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ طَوْعًا أَوْ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ**" وأهل الذمة هم أهل العهد[3] أو الأمان، أو الكفالة ، أو هم المعاهَدون من أهل الكتاب إن كانت إقامتهم في دار الإسلام ، وأطلق عليهم أهل الذمة ؛ لأنهم عاهدوا المسلمين ودخلوا في أمانهم وعهدهم .

وقد وصل الفاروق كلامه بالعطف بالواو " **وأوصيه** " للمناسبة ووجود الجامع، ثم فصل بين هذه الجملة وما بعدها " **أن يوفى لهم** ... " لكمال الاتصال بين الجملتين ، وقد نكر " خيرا " أيضا للتعظيم كما سبق ، وهذا من عظيم الإسلام وعظيم خصاله أيضا أن يوصي بالمهاجرين والأنصار وهما من قام الإسلام عليهما وبهما ، ويوصي بأهل الذمة أيضا ، وقد نكر الخير معهم وليسوا من

---

(١) الحشر ٩.

(٢) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ٢/ ١٠٣ ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ، الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) لمعمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، ط٢، ١٤٠٣ هـ ، السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ) ١/ ١١٦المحقق: د. عطية الزهراني ، الناشر: دار الراية – الرياض ، ط١، ١٤١٠هـ –١٩٨٩م، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه – شخصيته وعصره، لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ١/٦٠، ٦١ ،دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

(٣) معاني القرآن لأبي جعفر النحاس النحوي (المتوفى ٣٣٨ هـ) ، ٣ / ١٨٨ .

المسلمين كما نكره مع من قام بهم الإسلام ، ذلك أنهم مؤمنون في دار الإسلام وإن لم يكونوا مسلمين ، لهم العهد والذمة والأمان ، ولهم الخير أيضا ما داموا يوفون ما عليهم .

وفي قوله " أن يوفى لهم بعهدهم " عبر بـ "**أن** " والفعل بعدها ليفيد دلالة الوفاء بالعهد مع الاستمرار عليه وعدم نقضه ، أي تجدد الوفاء بالعهد ما بقوا عليه ، وقدم " **لهم** " للتخصيص ، والتأكيد على الوفاء به ، " **بعهدهم** " ذكره زيادة للتأكيد والحرص على الاهتمام به وبعهدهم .

وفي قوله " **أن يقاتل من ورائهم** " كسابقتها ، التعبير بـ " أن " والفعل لدلالة الحدث واستمرارية حدوثه ، " يقاتل " وفي قوله " **من ورائهم** " أي : حماية وأمانا لهم وألا يعكفوا فوق طاقتهم إذا أدوا ما عليهم للمؤمنين طوعا أو عن يد وهم صاغرون .

كما نهاه أن يكلفهم " **وألا يكلفوا** " – والمضارع للاستمرارية – ماداموا على العهد والذمة ، ولكنه مشروط " **إذا أدوا ما عليهم** " فأتى بالماضي " أدوا " لتمام الحدوث ، وكمال أداء ما عليهم .

وفي التعبير بـ " **للمؤمنين** " تخصيص أن المؤمنين هم من يأخذون منهم الجزية ، وقد طابق بين " **طوعا** " وبين " عن يد وهم صاغرون " ، وفي قوله " **عن يد وهم صاغرون** " كناية عن الانقياد وإن كان كارها ، لأن من أبى وامتنع لم يعط ، أما المنقاد المطيع فإنه يعط ويؤد ما عليه .

وفي الجملة اقتباس من القرآن الكريم في قوله تعالى : **{ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ }**[1]زين المعنى وزاده حسنا وجمالا ، ونثر على الألفاظ عبيرا وبهاء.

وفي قوله " **وهم صاغرون** " جملة حالية تبين مدى ماهم عليه من تقليل شأنهم وعدم رفعتهم ، وتؤكد صغر شأنهم وشأوهم أن ليسوا على شيء ، وهي جملة

(١) التوبة : من الآية ٢٩ .

اسمية تقدم فيها الضمير فزاد المعنى توكيدا وثبوتا ، تقليلا من شأنهم وصغرهم إذا لم ينقادوا طوعا لتعاليم الإسلام .

ويواصل الفاروق قائلا:

" **وَأُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَشِدَّةِ الْحَذَرِ مِنْهُ، وَمَخَافَةِ مَقْتِهِ، أَنْ يَطَّلِعَ مِنْكَ عَلَى رَيْبَةٍ، وَأُوصِيكَ أَنْ تَخْشَى اللهَ فِي النَّاسِ وَلَا تَخْشَ النَّاسَ فِي اللهِ، وَأُوصِيكَ بِالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ، وَالتَّفَرُّغِ لِحَوَائِجِهِمْ وَثُغُورِهِمْ، وَلَا تُؤْثِرْ غَنِيَّهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ- بِإِذْنِ اللهِ- سَلَامَةٌ لِقَلْبِكَ، وَحَطٌّ لِوِزْرِكَ، وَخَيْرٌ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ، حَتَّى تُفْضِيَ مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ سَرِيرَتَكَ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ** "

يغير الفاروق – رضي الله عنه – أسلوبه من الغائب إلى المخاطب عن طريق أسلوب الالتفات ، إيقاظا للمتلقي حتى ينشط للسماع إليه ، والإصغاء لقوله ، فأسلوب الالتفات يستخدم تطرية لنشاط السامع حتى لا يمل من أسلوب واحد قائلا له " **أوصيك** " عن طريق الخطاب بدلا من " أوصي الخليفة " السابقة التي كانت للغائب ، انتقل إلى الخطاب وكأنه أمامه يستمع إليه ويتلقى منه ، لأنه انتقل من الوصية بالعباد إلى الوصية برب العباد إذ قال له " **أوصيك بتقوى الله وشدة الحذر منه ، ومخافة مقته** ... " فوجه له الخطاب مباشرة .

ومما يلحظ أيضا تعبير الفاروق هنا بالمصدر مباشرة دون (أن والفعل المؤول) إذ استخدم المصادر بـ " **تقوى الله** " بدلا من " أن تتقي الله " ، و " الحذر منه " بدلا من " أن تحذر منه " ، " **مخافة مقته** " بدلا من " أن تخاف مقته " ، فعبر بالمصدر الصريح في جنب الله ، وذلك أن المصدر يدل على الحدث مجردا عن الزمان من مضيه أو استقباله أو حاضره ، وهو يريد منه التقوى مجردة من الزمان ، والخوف من الله على الدوام ، والحذر منه باستمرار ، دون تعلق بزمان أو ارتباط بوقت تلازمه حياته ما بقيت .

وفي قوله " **بتقوى الله** " ذكر لفظ الجلالة " **الله** " صريحا ظاهرا ؛ لأنه أول ذكره ، أما في قوله " **وشدة الحذر منه** " ، " **مخافة مقته** " فعبر بالضمير الغائب في " منه ، مقته " لعوده على لفظ الجلالة المتقدم ذكره ظاهرا .

وفي الحذر منه – جل في علاه – لم يقل " والحذر منه " ولكنه عبر بلفظ " **شدة** " لما يحمله من معنى قصده الفاروق من أخذ النفس بدوام الحيطة وشدة الحذر والخوف من الجليل ﷻ .

ولهذا اللفظ وقع على الآذان ففي الشين خاصية التفشي وهو ما يريده الفاروق أن يتفشى لدى الخليفة وهو الحذر من الله في سائر عمله وقوله ولا يأمن مكره، وقد أتت الشين مكسورة ؛ حتى تناسب معنى الانكسار الذي يصاحب الخائف الحَذِر من الجليل ، وهي حرف مهموس ، تناسب الهمس الداخلي للنفس الحَذِرَة الخائفة التي دائما ما تهمس لصاحبها أن احذر ، حتى يكون استجابة النفس على الدوام ، ولم يرض الفاروق بالهمس الداخلي فقط وإنما يريد الحذر باطنا وظاهرا ، وهو ما مثله حرف الدال المجهورة والتي أدت المعنى المطلوب من كون الحذر والخوف بداية من الباطن ، متبوعا بالظاهر الذي نتج عن الهمس الداخلي .

ولتشديد الدال دور في المعنى ، إذ التشديد في المبنى يقابله تشديد في المعنى، فهو كما يرهبه من الله بشدة أتى بلفظ يداخله التشديد ليلائم المقام ، والدال من الحروف الشديدة التي تمثل الشدة والحدة ، يا لها من لغة معبرة ... ورضي الله عن الفاروق ، ويختم بالتاء المربوطة المكسورة ، التي زادت اللفظ مناسبة للمقام إذ وقعت الشَّدَّة بين كسرين ، وهو الحال التي يريدها الفاروق من الخليفة ، أن يكون حاله في باطنه وظاهره ما بين التواضع والانكسار والشدة ،فليس باللين خالصا ولا بالشديد على الدوام.

وفي قوله **" أَنْ يَطَّلِعَ مِنْكَ عَلَى رَيْبَةٍ** " عاود الفاروق –ﷺ– للتعبير بـ (أن والفعل) في قوله **" أَنْ يَطَّلِعَ** " إذ الريبة ليست في كل وقت ، وإنما في أوقات معينة من حياة الإنسان قد يفعل ريبة يغضب الله بها ، لذا عبر بالفعل المضارع المتجدد الحدوث ، فهو يحذره بالمضارع من أن يغضب الله فيما هو آت ، وقد قدم الجار والمجرور " **مِنْكَ** " والأصل أن يقول " أن يطلع على

ريبة منك " ، وإنما التقديم للتخصيص ، يحذره هو دون غيره ، منك لا من غيرك ، وهو لتوكيد المعنى أيضا وتثبيت الحذر .

وقد نكر لفظ " **رِيبَةٍ** " للتعميم والشمول ، أي على أي معصية أو شيء يغضبه ﷻ.

وفي قوله " **وَأُوصِيكَ أَنْ تَخْشَى اللهَ فِي النَّاسِ وَلَا تَخْشَ النَّاسَ فِي اللهِ** " طباق بالسلب ، إذ جمع بين فعلين من مصدر واحد ، أحدهما مثبت والآخر منفي " **تَخْشَى ، لَا تَخْشَ** " مما أكد المعنى وزاده وضوحا وظهورا ، فالضد يظهر حسنه الضد ، ألفاظ معكوسة وشتان بين المعنيين ، بين أن يخشى الله في الناس ، فأنت تتقي الله ، وبين أن تخشى الناس في الله ، فأنت لا تتق الله وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه ، هذا ما وضحه المعنى وأفاده الطباق .

ويواصل الفاروق قائلا " ، **وَأُوصِيكَ بِالْعَدْلِ فِي الرَّعِيَّةِ، وَالتَّفَرُّغِ لِحَوَائِجِهِمْ وَثُغُورِهِمْ، وَلَا تُؤْثِرْ غَنِيَّهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ** " .

اتبع الفاروق عمر – رضي الله عنه – أسلوب الوصل أحيانا والفصل أحيانا أخرى حسبما يقتضيه المقام في هذه الوصية ، التي تعتبر وثيقة ذهبية على مر الزمان ، عطف يتبع بعضه بعضا ؛ وذلك للمناسبة بين الجمل ، ووجود الجامع كما في قوله " **وَأُوصِيكَ** " .

وفي قوله " **بِالْعَدْلِ** " عبر بالمصدر لأنه يريد العدل المحض الخالص في كل وقت وحين ، وليس في وقت بعينه ، وفي الجملة تقديم وتأخير ؛ حيث أخر " **الرَّعِيَّةِ** " الموصى له ، وقدم " **الْعَدْل** " لأنه المرد وله كمال الاهتمام ، ليلفت انتباهاه لأهمية ما يوصى به ، خالصا لوجه الله تعالى في الرعية ، ويعطف قائلا " **وَالتَّفَرُّغِ لِحَوَائِجِهِمْ وَثُغُورِهِمْ** " إذا ما كنت الخليفة فأنت وليت لخدمة الرعية فلتتفرغ لعملك الذي وليت له وهو خدمتهم والقيام على أمرهم في كل وقت ، لذا آثر التعبير بالمصدر الخالي من تحديد زمن معين ، يريد منه التفرغ التام ، وهذا ما قام به المصدر ودل عليه دون زمان معين .

وفي قوله " **لِحَوَائِجِهِمْ وَثُغُورِهِمْ** " جمع (حاجة ، ثغر) ؛ وهذا يدل على التفرغ التام لهم ، وهو يؤدي معنى العموم والشمول لكل حوائجهم جميعا ، وكل ثغورهم جميها ، و " الثَّغْرُ " هو كل فرجة في جبل أو بطن أو طريق مسلوك ، وهذا يعني أنه مسؤول عن كل ثغرة يحتاجون إليها في أي طريق أو واد حتى لو في جبل ، يالها من مسؤولية يحملها عمر ، ويُحَمِّلُهَا لمن بعده ، وقد عطف بينهما " **لِحَوَائِجِهِمْ ، ثُغُورِهِمْ** " لما بينهما من مناسبة وجامع في المعنى القائم .

وفي قوله " **وَلَا تُؤْثِرْ غَنِيَّهُمْ عَلَى فَقِيرِهِمْ** " نهي مباشر عن عدم المحاباة لطرف دون آخر مهما علا لأي سبب ، من مال أو جاه أو غيرهما ، فهي دعوة للعدل في أبهى صورة ، وضحها الطباق الحاصل بين " **غَنِيَّهُمْ، فَقِيرِهِمْ** " ضدان قاما بالمعنى ، والعدل في التساوي بينهما فعلا وحكما ، وقد عبر باللفظ " **تُؤْثِرْ** " دون غيره ؛ لما يحمله من معنى فيه دون سواه ، (آثر الشيء : خصه به وقدمه له ، والأثرة هي : التفضيل والانفراد بالشيء ...) ، تحمل جميع تلك المعاني ، لذا عبر بها الفاروق لتحاشيها إن لم تكن في الحق والعدل ، فهو لا يريد جميع هذه المعاني التي تحملها الكلمة إلا إذا كانت حقا وعدلا ، حتى لا يخلق بين الرعية جوا يسوده الكره والتفرقة ، ولكنه يسعى لجو يسوده الحب والمودة والألفة والتراحم بين المسلم أجمعين .

ويعلن الفاروق –ﷺ– نتيجة ذلك إذا اتبعه الخليفة قائلا **(فَإِنَّ ذَلِكَ– بِإِذْنِ اللهِ– سَلَامَةٌ لِقَلْبِكَ، وَحَطٌّ لِوِزْرِكَ، وَخَيْرٌ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ، حَتَّى تُفْضِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ سَرِيرَتَكَ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ)** ، وقد بدأ الفاروق –ﷺ– هذه النتيجة بالتوكيد بـ (إنّ) المؤكدة ، ولا يؤكد شيء إلا " **بِإِذْنِ اللهِ** " تعالى ، فكل توكيد عنده مهما كان ممكنا لا يمكن إلا بإذن الله .

وفي قوله **" سَلَامَةٌ لِقَلْبِكَ** " نكر" **سَلَامَةٌ** " للتعظيم؛ أي سلامة مطلقة عظيمة لقلبك ، وقد خص القلب بالسلامة لأنه المحرك لأفعال الإنسان وعواطفه، وقد أضاف إليه(كاف الخطاب) ؛ لأن الخطاب خاص به لا بغيره .

" **وَحَطٌّ لِوِزْرِكَ، وَخَيْرٌ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِكَ** " وكذلك التنكير في " **حَطٌّ ، خَيْرٌ**" للتعظيم ، فهو حط عظيم لوزرك ، وما أفضله من مكسب إذا حط وزره ، وكذلك خير عظيم في عاقبة الأمر .

وفي قوله (**حَتَّى تُفْضِي مِنْ ذَلِكَ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ سَرِيرَتَكَ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ**) ، أي حتى ترجع إلى الله ، فالله – ﷻ– هو من يطلع على سريرته وهو من يحول بين المرء وقلبه .

وقد عبر بـ " حتى " هنا لانتهاء الغاية ، وانتهاء الغاية هنا هو انتهاء الرحلة الدنيوية ، فأراد أن يخبره بالالتزام بما أملاه عليه في الوصية حتى الموت .

وفي لفظ " **تُفْضِي** " أي تصل ، (أفضى فلان إلى فلان : وصل إليه ، وانتهى وآوى)[1] ، عبر بهذا اللفظ على هيئة المضارع ليصور له المشهد كاملا ، ويرهبه منه (أنت سائر حتى تصل إلى الله) .

وفي قوله " **مِنْ ذَلِكَ** " حتى تشعر بثقل الأمانة التي حملها ، وأنه لن يبلغ الراحة منها إلا بالموت .

والوصول " **إِلَى مَنْ يَعْرِفُ سَرِيرَتَكَ** " تعريض بالتزام الحق والعدل والرحمة ظاهرا وباطنا ، فهو يعرض عليه أن الله يعلم سريرتك فنقها .

وفي الجملتين " **إِلَى مَنْ يَعْرِفُ سَرِيرَتَكَ، وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ** " عرف المسند إليه وهو المولى – عز وجل – بالموصولية (من) ؛ ليحقق الفائدة المرادة من ترهيبه من ربه ، فآثر ذلك ليكون الترهيب أقوى ، والتخويف من عظمة الله وجلاله أشد ، فتحصل الفائدة المرجوة من اتباع ما وصى به ، وتحقيق العدل في الرعية .

وفي الفعلين " يعرف ، يحول " دلالة الاستمرارية ، فالله يعلم على الدوام سريرة كل مخلوق ، ويحول على الدوام بين المرء وقلبه .

---

(١) لسان العرب ، مادة (فضا)

وفي جملة " **وَيَحُولُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ قَلْبِكَ** " اقتباس من القرآن الكريم ، من قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[1] .

و "يحول بين المرء وقلبه " هي كقوله تعالى[2]: ﴿ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾[3] .

ومعناها أيضا :" يحول بين المرء وقلبه " أي " بين المؤمن والكفر، وبين الكافر والإيمان "[4].

وفي الألفاظ " سريرتك – بينك – قلبك " إضافة (كاف الخطاب) فيها ليخصه وحده بالخطاب ، وأنه لن يحمل وزره غيره ، وألا يعلم سره وما في قلبه غير الله ، فليتقه ، فالخطاب خاص به وحده .

(وَقَدْ أَوْصَيْتُكَ وَحَضَضْتُكَ، وَنَصَحْتُ لَكَ، أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ).

أتى بـ " قد " التي تحمل في طياتها معنى التحقيق ، لتحقيق وحدوث القول الآتي بعدها .

والألفاظ " أوصيتك – حضضتك – نصحتك " أفعال ماضية عبرت عن تحقق حدوث المعاني التي دلت عليها ، وهي الوصية والحض والنصيحة ، وكلها مضاف إليها (كاف الخطاب) ، لتخصيص الخليفة بالقول والخطاب .

والجملة مؤكدة بـ " قد " ، والأفعال الماضية لدلالة الوقوع الفعلية للنصيحة والتوصية والحض وحدوثهم .

وفي قوله **(أَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ وَالدَّارَ الآخِرَةَ)** ، قول يبين وجهة الفاروق – ﷺ – الإيمانية ، فكل أقواله وأفعاله لله دون شريك .

---

(١) الأنفال ٢٤ .

(٢) تفسير القرآن ، لعبد الرازق الصنعاني (٢١١ هـ) ، ٢/ ٤٨٣ .

(٣) ق : جزء الآية ١٦.

(٤) تفسير القرآن للصنعاني ، ٢/ ٤٨٥ .

وقد عبر ب" أبتغي " دون " أريد " لما يحمله من معنى أدل وأشمل في بغية الله تعالى وما عنده ، وأتى به مضارعا ؛ لاستمرارية هذه البغية دون انقطاع ، وأضافها لنفسه عن طريق (ياء المتكلم)، وفي قوله " بذلك " عبر بالإشارة " بذلك " لأنه سبق ذكر ما أشار إليه ظاهرا " أوصيته ... "، فأشار إليه لتعظيمه ، وإرادة ثوابه .

ويواصل الفاروق قائلا (**وَاخْتَرْتُ مِنْ دِلَالَتِكَ مَا كُنْتُ دَالًّا عَلَيْهِ نَفْسِي وَوَلَدِي، فَإِنْ عَمِلْتَ بِالَّذِي وَعَظْتُكَ، وَانْتَهَيْتَ إِلَى الَّذِي أَمَرْتُكَ، أَخَذْتَ بِهِ نَصِيبًا وَافِيًا، وَحَظًّا وَافِرًا، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ وَلَا يُهِمُّكَ، تُنَزِّلْ مَعَاظِمُ الْأُمُورِ عِنْدَ الَّذِي يَرْضَى اللهُ بِهِ عَنْكَ، يَكُنْ ذَلِكَ بِكَ انْتِقَاصًا، وَرَأْيُكَ فِيهِ مَدْخُولًا، لِأَنَّ الْأَهْوَاءَ مُشْتَرَكَةٌ**) .

يواصل الفاروق تعبيره بالفعل الماضي لتحقيق حدوث الفعل ، " واخترت " لأن اختياره قد وقع بالفعل ، وفي قوله " من دلالتك " ليخبره أنه اتقى الله فيه ، وأن هناك من الدلالة ما هو غير ذلك ، ولكنه دله ووجهه إلى ما فيه الخير لنفسه وللرعية ولعامة المسلمين .

وقد أضفى الاشتقاق على المعنى إيقاعا وجمالا في قوله " دلالتك – دالا " حيث استدعاه المعنى دون تكلف أو تصنع فحقق الهدف المنشود من إيصال المعنى المقصود في أبهى صورة وأحلى حلة ، ووصل إلى المتلقي ما نبع في فؤاد عمر الفاروق من إخلاص له ولربه من قبله ، وأنه أوصاه بما يوصي به نفسه وولده .، وبين " نفسي ، ولدي " تناسب ومراعاة للنظير ، مما جعل كلامه سلسا عذبا خاليا من الثغرات ، كعقد الؤلؤ المتناسق الحبات .

وفي قوله " **فَإِنْ عَمِلْتَ بِالَّذِي وَعَظْتُكَ، وَانْتَهَيْتَ إِلَى الَّذِي أَمَرْتُكَ، أَخَذْتَ بِهِ نَصِيبًا وَافِيًا، وَحَظًّا وَافِرًا** " أسلوب شرط استدعاه المقام لربط الأفكار ببعضها ، فأتى بـ "**إن**" الشرطية وفعلها الماضي "**عملت**" معطوفا عليه الفعل الماضي في الجملة التالية " وانتهيت " ، هما فعلا الشرط (إن تحققا ففعل ما أمر به ،

وانتهى عما نهي عنه) تحقق جواب الشرط " **أَخَذْتَ بِهِ نَصِيبًا وَافِيًا، وَحَظًّا وَافِرًا** " .

وعن طريق هذا الأسلوب الشرطي ، ربط الفاروق تحقق النصيب الوافي والحظ الوافر ، فتحققهما مشروط بتحقق الجملتين السابقتين الواقعتين بعد "**إن**" الشرطية .

وفي قوله " **أَخَذْتَ بِهِ نَصِيبًا وَافِيًا، وَحَظًّا وَافِرًا** " ، بين " **وافيا ، وافرا** " جناس غير تام ، مضارع زان المعنى ، وزاده حسنا وجمالا ؛ حيث أعاد الفاروق اللفظة باختلاف حرف واحد مع تمام الفائدة وحسن المعنى ، وزيادة الإيقاع ، فأعطى راحة للنفس وتطرية للسماع ، ونشاطا للذهن ، يبعث على تنفيذ ما جاء في المعنى .

يكرر أسلوب الشرط في قوله " ، **وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ ، يَكُنْ ذَلِكَ بِكَ انْتِقَاصًا، وَرَأْيُكَ فِيهِ مَدْخُولًا، لَأَنَّ الْأَهْوَاءَ مُشْتَرَكَةٌ، وَرَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ** " لتكرار يعمل على تقييد المعنى وتثبيته ، ذلك لأن العلاقة فيه بين فعل الشرط وجوابه ، فإذا حقق فعل الشرط وقع جواب الشرط لازما ، والتكرير هنا عن طريق الإعادة بالنفي ، ففي المرة الأولى " إن فعلت " فالجواب " كذا " ، وفي الإعادة وإلا فلا .

" **وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ** " هذا فعل الشرط ، يكن الجواب " **يكن ذلك بك انتقاصا ورأيك فيه مدخولا** " ، لأن عدم قبول هذه الوصية وما جاء فيها دليل على انتقاص الإيمان عنده ، وأنه غير موافق للإيمان .

وفي قوله " **وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ ذَلِكَ** " الإشارة إلى تلك الوصية والنصائح الواردة فيها ، أما الإشارة في " **يَكُنْ ذَلِكَ بِكَ انْتِقَاصًا** " تعود إلى عدم القبول ، فيكون السبب في عدم القبول انتقاص الإيمان لديه ، وعدم كماله عنده .

وفي قوله " **بِكَ انْتِقَاصًا** " تقديم وتأخير ؛ حيث قدم الجار والمجرور للعناية بشأنه وتخصيصه بالحكم المؤخر " انتقاصا " ،" انتقاصا " حال دالة على ما هو عليه إن لم يقبل .

وكذا في قوله " **وَرَأْيُكَ فِيهِ مَدْخُولًا** " تقديم وتأخير ، حيث قدم الجار والمجرور " فيه " على المنصوب " مدخولا " للعناية بشأن المقدم وزادة الاهتمام به .

ويعلل الفاروق قوله قائلا " **لَأَنَّ الْأَهْوَاءَ مُشْتَرَكَةٌ، وَرَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ** " مؤكدا ومعللا قوله ب " لأن"، وفي لفظ " الأهواء " ما يدل على التعميم ، فجميع الأهواء مشتركة في النقصان ورأس كل خطيئة إن لم توافق الإسلام ، فمن لم يوافق هواه تعاليم الإسلام فهو في نقصان ، وفي تنكير " خطيئة " للعموم والشمول ، يؤكد هذا العموم وتلك الشمول لفظ " كل " .

وفي قوله "**ثُمَّ ارْكَبْ الْحَقَّ وَخُضْ إِلَيْهِ الْغَمَرَاتِ**" استعارة مكنية ، حيث شبه الحق بالخيل الأصيلة التي يخوض بها المحارب غمرات الحروب ، بجامع الركوب في كل ، ثم حذف المشبه به " الخيل " ورمز إليه بشيء من لوازمه ، وهو " الركوب " ، والقرينة إثبات الركوب للحق ، وهذا تخييل ، لأن الحق لا يركب ، وإنما يتبع ، فهو من إثبات الشيء لغير ما هو له .

وفي قوله أيضا " **وَخُضْ إِلَيْهِ الْغَمَرَاتِ** " استعارة مكنية أيضا ؛ حيث شبهه بشخص له مكانة ، تخاض الحروب من أجل الوصول إليه ، ولا شك أن في الاستعارتين تصوير بليغ يحث من خلاله على اتباع الحق وملازمته ، وعدم مفارقته ، حتى لو خاض حروبا من أجل اتباعه .

ويواصل الفاروق وثيقته قائلا "**وَكُنْ وَاعِظًا لِنَفْسِكَ، وَأُنْشِدُكَ اللهَ لَمَّا تَرَحَّمْتَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ فَأَجْلَلْتَ كَبِيرَهُمْ، وَرَحِمْتَ صَغِيرَهُمْ، وَوَقَّرْتَ عَالِمَهُمْ، وَلَا تَضْرِبْهُمْ فَيُذَلُّوا، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِالْفِيءِ فَتُغْضِبْهُمْ، وَلَا تَحْرِمْهُمْ عَطَايَاهُمْ عِنْدَ مَحَلِّهَا فَتُفْقِرْهُمْ، وَلَا تُجَمِّرْهُمْ فِي الْبُعُوثِ فَتَقْطَعْ نَسْلَهُمْ، وَلَا تَجْعَلْ الْمَالَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ، وَلَا تُغْلِقْ بَابَكَ دُونَهُمْ فَيَأْكُلْ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ**" .

" **وَكُنْ وَاعِظًا لِنَفْسِكَ** " استخدم فعل الأمر هنا ليشعره بما يجب أن يكون عليه، وما يجب أن يكون عليه حاله " **وَاعِظًا لِنَفْسِكَ** " فلا تعظ غيرك وتنس نفسك وهي الأولى بالوعظ والنصيحة ،

وفي لفظ "**نَفْسِكَ**" أضاف إليها (كاف الخطاب) ليخصه هو ، فهو يريده أن يجرد من نفسه واعظا مرشدا ناصحا حتى لا يضل ولا يهوى ، وذلك أن الخليفة أو الحاكم قليل من ينطقون بالحق أمامه ، فأقام من نفسه على نفسه واعظا مرشدا ناصحا أمينا.

ويعود للرعية قائلا " **وَأُنْشِدُكَ اللهَ لَمَّا تَرَحَّمْتَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ** "، "**وَأُنْشِدُكَ اللهَ** " بمعنى " أسألك الله ، وأقسمت عليك بالله "، أسلوب جديد يستخدمه الفاروق مع الخليفة الآتي بعده ليرقق قلبه مع رعيته ، فهو الآن يقسم بالله عليه ويسأله بالله وهو أغلى وأعلى ما يمكن أن يسأل به " **لَمَّا تَرَحَّمْتَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ** " أن ترحم الجماعة كاملة غير ناقصة .

وفي لفظ " **تَرَحَّمْتَ** " استخدم الفعل الماضي الذي يدل على حدوث الأمر ونفاذه ، مع أنه لم يحدث بعد ، فأقامه مقام المضارع ، وكأن الرحمة حدثت منه فعلا ، فهو يلتمس منه خيرا ، يوصيه بالمستقبل الذي لم يأت بعد ، ثم يشعره أنه يثق به تمام الثقة أن الرحمة ستقع منه لا محالة ، وكأنها وقعت بالفعل ، فأقام الماضي مقام المضارع ليقوم بهذا المعنى ، ولم يقل " رحمت " وإنما " **ترحمت** "؛ لأن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ، فهو يريد منه زيادة في الرحمة والشفقة بعموم المسلمين في جميع أحوالهم ، في السر والعلن، رحمة تنطق بها الكلمة في حروفها وحركاتها وسكناتها ، رحمة مثلتها الكلمة حتى في وقعها على الآذان ، فالكلمة "**تَرَحَّمْتَ** " بدأت بحرف التاء المهموسة وانتهت أيضا بالتاء المهموسة ، فهو يريدها رحمة تهمس بها نفسه لجميع من حوله من الرعية ، رحمة نابعة من نفسه لنفسه ولغيره.

ومما يلحظ أن التاء في بداية الكلمة ونهايتها مفتوحة ، وهو ما يصبو إليه الفاروق عمر ﷺ، فهو لا يريدها رحمة مضمومة لأحد ، أو مكسورة ، أو ساكنة في مكانها ، وإنما رحمة مفتوحة للجميع ، ينالها القاصي والداني، رحمة تعم كل من وقع تحت راية الإسلام وخليفته ، فناسب الفتح المعنى المراد، وليست الرحمة المرادة مرة واحدة ، وإنما رحمات تترى وتتعاود، وتبقى ما بقيت

حياته، رحمات متكررة لا تنفد يمثلها حرف الراء الذي يفيد معنى التكرار ، وقد أتت الراء مفتوحة أيضا كما يطلب المقام ، فالانفتاح في التكرار أيضا يستدعيه المقام ، فأتى الفتح مناسبا للمقام ، والراء حرف مجهور يناسب المعنى المراد من كون الرحمة المجهورة مطلوبة أيضا ، فحروف الكلمة تنوعت بين الهمس والجهر ، وقد تساوى فيها الهمس والجهر ، فالتاء والحاء من المهموسات ، والراء والميم من المجهورات ، وهو يطابق ويلائم المعنى المراد من الرحمة الظاهرة والباطنة ، فالفاروق يريد الرحمة أن تستوي عنده ، ظاهرة وباطنة ، في السر والعلن ، لجميع فئات المسلمين وجميع الرعية .

ومما يلحظ أيضا أن الكلمة وقع فيها حرف مشدد وهو الحاء ، والتشديد في المبنى يمثل التشديد في المعنى ، فالفاروق في بداية الجملة ناشده الله ، وسأله بالله أن يترحم بالمسلمين ، وليس أشد من السؤال بالله ومناشدته في الأمر ، وكأنه يرجوه أشد الرجاء ، وقد قام بالمعنى وناسبه ، ثم تأتينا الميم المجهورة الساكنة ، وكأن الرحمة مرت قبلها بالتاء والراء والحاء وكلها مفتوحة فضمنت أن الجميع نال نصيبه منها فسكنت فأتت ساكنه ، وهي حرف منفتح شأن باقي حروف الكلمة ، فهو يأمل منه رحمة مفتوحة ، ينالها كل من وقع تحت راية الإسلام .

وقد أضاف تاء الخطاب للأفعال استحضارا للخليفة وكأنه يخاطبه أمامه ، فوجه إليه الخطاب دون واسطة وفي الألفاظ " **كَبِيرَهُمْ ، صَغِيرَهُمْ ، عَالِمَهُمْ** " دليل العموم والشمول ، فهو يعم الجميع بوصيته، ويشملهم في عموم الرحمة.

وقد انتقل الفاروق من أسلوب الأمر إلى النهي قائلا : " **وَلَا تَضْرِبْهُمْ فَيُذَلُّوا، وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِالْفِيءِ فَتُغْضِبْهُمْ، وَلَا تَحْرِمْهُمْ عَطَايَاهُمْ عِنْدَ مَحَلِّهَا فَتُفْقِرْهُمْ، وَلَا تُجَمِّرْهُمْ فِي الْبُعُوثِ فَتَقْطَعْ نَسْلَهُمْ، وَلَا تَجْعَلْ الْمَالَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْهُمْ، وَلَا تُغْلِقْ بَابَكَ دُونَهُمْ فَيَأْكُلْ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ**".

فأتى بأسلوب النهي في الأفعال " **وَلَا تَضْرِبْهُمْ ، وَلَا تَسْتَأْثِرْ، وَلَا تَحْرِمْهُمْ، وَلَا تُجَمِّرْهُمْ ، وَلَا تَجْعَلْ ، ، وَلَا تُغْلِقْ** " وكلها مبتغاها العدل والرحمة ، وكل جملة تربي أجيالا على العزة والكرامة ، وترفع أقواما عن الذل والمهانة .

"**وَلَا تَضْرِبْهُمْ فَيُذَلُّوا**" جملة تحمل في طياتها معنى الكرامة والعزة ، نهاه الفاروق عن ضربهم عن طريق (لا) متبوعة بالفعل المضارع الذي يحوي معنى التجدد والحدوث ، فلا تضربهم في أي وقت ، فيكون الجزاء أو النتيجة " **فَيُذَلُّوا** "،الذل المعبر عنه بالمضارع الواقع بعد فاء السببية، فما بعدها جزاء لما قبلها ، هذا الذل سببه الضرب ، وهذا منهي عنه في الإسلام ، حيث منع الإسلام الضرب على الصغير والكبير والرجال والنساء ؛ لأن عاقبته الذل والمهانة ، وذهاب العزة والكرامة ، جملة موجزة تعبر عن كثير .

وفي الفعلين " **تضربهم ، يذلوا** " دلالة العموم ، فالنهي عن الضرب والذل عام لجميع المسلمين، كما أنه بأسلوب الغائب ؛ لأنه يوصيه بالمسلمين في عدم حضورهم .

وكذا بقية الجمل " **وَلَا تَسْتَأْثِرْ عَلَيْهِمْ بِالْفِيءِ فَتُغْضِبْهُمْ** " ، **والفيء:** "هو ما حصل للمسلمين من أموال من غير حرب ولا جهاد"[1]، وفي قوله " **وَلَا تَسْتَأْثِرْ** " عبر بالإيثار دون " لا تفضل " أو غيره ؛ لما يحمله من معنى لا يوجد في غيره كما سبق ذكره .

وفي الجملة تقديم وتأخير ، إذ الأصل " لا تستأثر بالفيء عليهم " يقصد منه التخصيص ، أي لا تؤثر غيرهم وتتركهم ، فيكون الجزاء أو العاقبة " **فَتُغْضِبْهُمْ** " ، وهو يعلم أن غضب الرعية إذا اشتد لن يتحمله الراعي ، فهو ناصح له أمين .

وفي قوله " **وَلَا تَحْرِمْهُمْ عَطَايَاهُمْ عِنْدَ مَحَلِّهَا فَتُفْقِرْهُمْ** " يضع الفاروق قواعد للخليفة والحاكم تكتب بماء الذهب ، فالحرمان وقت الحاجة يورث الفقر ، إذا

(١) لسان العرب لابن منظور ، مادة (فيأ).

حلَّ وقت العطاء يحرم المنع ؛ لئلا يقع الفقر والعوز ، يلقي إليه هذه الوثائق عن طريق أسلوب النهي، والجواب الواقع بعد فاء السببية هو جزاء فعل ما نهى عنه ، ولا يخفى دور الفعل المضارع " تحرمهم ، تفقرهم " للتجدد والحدوث ، وضمير الغائب المتصل (هم) في " **تحرمهم ، عطاياهم ، تفقرهم** " لأنه يتحدث عن غائب وهم الرعية وجميع المسلمين ، وفي قوله " **عِنْدَ مَحَلِّهَا** " تكميل ويسمى بالاحتراس ، فإنه لو اقتصر الكلام على " **وَلَا تَحْرِمْهُمْ عَطَايَاهُمْ فَتُفْقِرْهُمْ** " يتوهم السامع أنها عطايا في غير محلها أو في غير وقتها فأتى بقوله " **عِنْدَ مَحَلِّهَا** " احتراسا وتكميلا لدفع ما يوهم خلاف المقصود ، وقد أتت " عطايا " مجموعة ؛ لتكرار المنع ، إذ الفقر يأتي بتكرار المنع ، ولهذا جمعها حتى يحترس الخليفة من فعلها .

وفي قوله " **وَلَا تُجَمِّرْهُمْ فِي الْبُعُوثِ فَتَقْطَعْ نَسْلَهُمْ** " ، وقد أوصى الفاروق في خطبة له قبل ذلك أيضا بقوله " **لَا تُجَمِّرُوا الْجَيْشَ فَتَفْتِنُوهُمْ** " ، وتجمير الجيش : " جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهليهم "[1] ، رضي الله عن الفاروق عمر ، فكر في القاصي والداني ، وفي هذه الجملة نهى الخليفة أن يجمع رجال الجيش في الثغور أي بطون الجبال والمسالك والطرق ويبعث بهم في كل واد ، ويحبسهم عن العود إلى أهليهم فيقطع نسلهم ، وقد عبر بلفظ "**تجمرهم**" من الجمر وهي النار المتقدة دون ترسلهم أو تبعثهم أو غيرها ؛ وكأنه يلقيهم في الجمر ،ويحرقهم فيقطع نسلهم ، ويتخلص منهم خلاصا كاملا.

وفي قوله " **في البعوث** " جمع لتشتيتهم في شتى الطرق والبعثات التي تقضي عليهم ، وفي لفظ " **فتقطع** " دليل الخلاص الكامل منهم ، وليقطع دابرهم وتنتهي ذريتهم .

(١) لسان العرب ، مادة (جمر).

ويختم الفاروق قوله للخليفة بعده بهذه الجملة **" وَلَا تُغْلِقْ بَابَكَ دُونَهُمْ فَيَأْكُلْ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ** " بأسلوب النهي عن طريق (لا والفعل المضارع بعدها) ليتجدد فعل الخليفة هذا ما بقيت حياته، فهو يريد بابه مفتوحا للرعية على الدوام ، فلم يأمره بفتح بابه لأن معنى الفتح أنه قد أغلق ، ولكنه ينهاه عن غلقه دونهم ما بقي في الخلافة ، وهذا من بلاغة القول .

وفي قوله " **بابك** " أضاف إليه (كاف الخطاب) ؛ لأنه يقصد باب الخليفة الذي توجهت إليه الوصية ، وفي قوله " **دونهم** " أضاف ضمير الغائب ليخص الرعية كاملة .

وجزاء الفعل الآتي بعد فاء السببية "فإنك إن فعلت ذلك سيأكل قويهم ضعيفهم"، وفي قوله " **فَيَأْكُلْ** " تجدد بتجدد الفعل الأول " **تُغْلِقْ** " ، فأكل القوي للضعيف مترتب على إغلاق باب الخليفة ، ومتجدد بتجدده ، لذا آثر التعبير بالمضارع لأنه القائم بالمعنى المراد .

وبين " قويهم ، ضعيفهم " طباق ؛ أظهر المعنى وزاده حسنا وبهاء ووضوحا .

ثم يتبع بقوله "**هَذِهِ وَصِيَّتِي إِيَّاكَ، وَأُشْهِدُ اللهَ عَلَيْكَ، وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَام**" ، فأشار باسم الإشارة " **هَذِهِ** " الموضوع للقريب لأنها ما زالت قريبة منه ، فقد ألقاها إليه في نفس الوقت .

وفي لفظ " **وَصِيَّتِي** " أضاف إليها (ياء المتكلم) لأنها خاصة منه ، وهو من ألقاها ، وفي قوله " **إِيَّاكَ** " للتخصيص ؛ لأنها أيضا تخص الخليفة الذي لا يعلمه إلا الله .

وفي قوله " **وَأُشْهِدُ اللهَ عَلَيْكَ** " جملة يعلمها القائل (الفاروق) والمتلقي (الخليفة) ، فالفاروق يعرف قدر الأمانة فأشهد الله وهو خير الشاهدين ؛ ليتبرأ بذمته أمام الله ، والخليفة لا يعلمه عمر ولكنه من الصحابة ، يعرف معنى الجملة "**وَأُشْهِدُ اللهَ عَلَيْكَ**" أنها سيحاجه بها أمام الله، لذا يُشْهِدُهُ عليه ، إلزام الحجة من الفاروق على الخليفة ، يالهم من رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه.

"**وَأَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ**" رغم عدم علمه لمن تلقى الوصية، ولكنه يُقَعِّدُ قواعد ستظل راسخة ثابتة على مر الدهور ، عبر بالمضارع " **أقرأ** " ليصور المشهد حضورا ، وكأن المتلقي يسمعه مباشرة حال سماع الوصية ، تصوير حي لا يقوم به إلا المضارع .

وفي الجملة تقديم وتأخير ؛ حيث قدم الجار والمجرور "**عليك** " وأخر لفظ " **السلام** " ، والأصل " وأقرأ السلام عليك " ليخصه بالحديث دون غيره ، فهو المتلقي للوصية ، وهي إنما تلقى له وحده ، والله شهيد على ما فيها .

وقد ختم بلفظ " **السلام** " ليكون آخر ما بينه وبين الخليفة ، وآخر ما وصله منه .

إنه الفاروق عمر ﷺ وأرضاه ، وألحقنا به على خير حال .

الخاتمة

الحمد لله على ما أنعم ، الحمد لله الأعز الأكرم ، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وبعد ...

فقد عشت في هذه الرحلة المباركة في رحاب وصية الخليفة الثاني ، أمير المؤمنين عمر بن الخطاب للخليفة الذي بعده ، وقد قطفت من ثمارها الطيبة ما شاء الله ، ومن خلال هذه الرحلة المباركة توصلت إلى عدة نتائج منها :

أولا : أن الفاروق رضي الله عنه كان يوصي الخليفة من بعده بدرر وثائقية غلفت بأسلوب بلاغي من أولى سماته في هذه الوصية : تجنيده لأساليب اللغة وتراكيبها المنوعة المختلفة لإحداث الأثر الذي يريده من الوصية ، فجاءت وصيته متماسكة العرى ، واضحة الدلالات ، وقد كان فيها قادرا على إثارة ذهن المتلقي للوصية أيا كان من تلقاها ، وتحفيزه على المتابعة ، وشَدِّهِ لمعرفة مضمون الوصية ، وقبول ما جاء فيها ، ليأخذها الخليفة دستورا ينفذه بعد تمكينه من الخلافة .

ثانيا : أن الفاروق ﷺ كان حريصا على وضع أسس وقواعد في هيئة وصايا تتبع للخليفة من بعده ، فصاغها بأسلوب تميز فيه بالقدرة الإقناعية المؤثرة ، كذكر الشيء وما يترتب عليه (وَلَا تُجَمِّرْهُمْ فِي الْبُعُوثِ فَتَقْطَعْ نَسْلَهُمْ) ، (وَلَا تُغْلِقْ بَابَكَ دُونَهُمْ فَيَأْكُلْ قَوِيُّهُمْ ضَعِيفَهُمْ) .

ثالثا : تمتع الفاروق بالقدرة التأثيرية العاطفية العالية أيضا ، وكان من أهم مصادرها في الوصية : رعايته لمقامات القول ومقتضياته (وَأُنْشِدُكَ اللهَ لَمَّا تَرَحَّمْتَ عَلَى جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ)، (وَلَا تَضْرِبْهُمْ فَيُذَلُّوا) .

رابعا : التكرار (أوصي الخليفة بكذا ... ، وأوصي الخليفة بكذا ...) ، ثم التفت من أسلوب الغيبة إلى الخطاب (أوصيك ... ، أوصيك ...)؛ وذلك لحمل الخليفة من بعده على المزيد من التنبيه والفطنة إلى الغرض المركزي للخطاب ، والتأكيد على تحقيق ما يحمله من أمر أو نهي أو غير ذلك .

خامسا : من الأساليب المجندة في الوصية ، كثرة إقامة أسلوب الأمر والنهي ، نظرا لطبيعتها وطبيعة تكوينها ، واستخدام الفعل المضارع لتصوير هيئة الحال المرادة في المستقبل ، وكأن الصورة حاضرة أمامه ، فيحفزه على التنفيذ.

سادسا : وللإيقاع دور هام في الوصية ، فقد أشاع في أجزاء منها جوا إيقاعيا رقيقا أحيانا ، ويعتريه بعض الشدة في أوقات أخرى ، لبعزز يقظة الخليفة المتلقي ، ويترقب الخطاب لنهايته ، كما قام التكرار الصوتي في كلمات كاملة على إنعاش الحس الإدراكي لدى المتلقي حتى يعلق بذهنه ، ويبقى صداه مستقرا في الوجدان ، مترددا على اللسان ، فيكون دافعا للتنفيذ والتحقيق .

المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

١ـ البيان والتبيين، لعمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (المتوفى: ٢٥٥هـ) ، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ١٤٢٣ هـ..

٢ ـ التعازي [والمراثي والمواعظ والوصايا]لمحمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالى الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد (المتوفى: ٢٨٥هـ) ،تقديم وتحقيق: إبراهيم محمد حسن الجمل ،مراجعة: محمود سالم ،الناشر: نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.

٣ ـ تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه – شخصيته وعصره، لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ٦٠/١، ٦١ ،دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٤ ـ الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري ، لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١، ١٤٢٢هـ،

٥ ـ الجامع (منشور كملحق بمصنف عبد الرزاق) لمعمر بن أبي عمرو راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، نزيل اليمن (المتوفى: ١٥٣هـ)، المحقق: حبيب الرحمن الأعظمي، الناشر: المجلس العلمي بباكستان، وتوزيع المكتب الإسلامي ببيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣ هـ ،

٦ ـ الجدول في إعراب القرآن لمحمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى : ١٣٧٦هـ)،دار الرشيد مؤسسة الإيمان – دمشق ، الطبعة : الرابعة ، ١٤١٨ هـ.

جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة لأحمد زكي صفوت ، المكتبة العلمية بيروت–لبنان،

٧ ـ تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان رضي الله عنه – شخصيته وعصره، لعَلي محمد محمد الصَّلاَّبي ،دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة – مصر، ط١، ١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢ م.

٨ ـ روح البيان ، لإسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي ، المولى أبو الفداء (المتوفى: ١١٢٧هـ) ، دار الفكر – بيروت،

٩ ـ الزهد والرقائق لابن المبارك (يليه «مَا رَوَاهُ نُعَيْمُ بْنُ حَمَّادٍ فِي نُسْخَتِهِ زَائِدًا عَلَى مَا رَوَاهُ الْمَرْوَزِيُّ عَنِ ابْنِ الْمُبَارَكِ فِي كِتَابِ الزُّهْدِ» لأبي عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي، التركي ثم المرْوزي (المتوفى: ١٨١هـ) ، تحقيق :حبيب الرحمن الأعظمي ، دار الكتب العلمية – بيروت،

١٠ ـ السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد الخَلَّال البغدادي الحنبلي (المتوفى: ٣١١هـ) المحقق: د. عطية الزهراني ، الناشر: دار الراية – الرياض ، ط١، ١٤١٠هـ –١٩٨٩م٢٢ .

١١ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ،دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ .

١٢ ـ لسان العرب لمحمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري (المتوفى : ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت ، ط١.

١٣ ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية لشمس الدين، أبو العون محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي (المتوفى: ١١٨٨هـ) ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها – دمشق، ط٢ ، – ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٢ م.

١٤ ـ المجالس الوعظية في شرح أحاديث خير البرية صلى الله عليه وسلم من صحيح الإمام البخاري لشمس الدين محمد بن عمر بن أحمد السفيري الشافعي (المتوفى: ٩٥٦هـ) ، حققه وخرج أحاديثه: أحمد فتحي عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م.